

فقه الأسماء الحسنی

العفو، الغفور، الغفار، التواب

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

٢٨-١٠-١٤٢٨هـ

تفریغ: محمد عماد نوفل

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد،

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته... معاشر المستمعين،

ومن أسماء الله الحسنى: الْعَفْوُ، الْغُفُورُ، الْغَفَّارُ، التَّوَّابُ.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤].

وقال الله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠].

وقال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].

و(الْعَفْوُ) هو الذي يمحو السيئات، ويتجاوز عن المعاصي. وهو قريب من (الْغُفُورِ)، ولكنه أبلغ؛ فإن الغفران ينبئ عن الستر، والعفو ينبئ عن الخو، والحو أبلغ من الستر.

وهذا حال الاقتران، أما حال انفردهما فإن كل واحد منهما يتناول معنى الآخر.

و(التَّوَّابُ) هو الذي يتوب على من يشاء من عباده، بالتوفيق للتوبة كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨]، وبالقبول لها كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

وَالْعَفْوُ وَالْمَغْفِرَةُ من لوازم ذاته، لا يكون إلا كذلك.

ولا تزال آثار ذلك ومتعلقاته تشمل الخليقة آناء الليل والنهار؛ فعفوه ومغفرته وَسِعَتْ المخلوقات والذنوب والجرائم؛ فهو -سُبْحَانَهُ- لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالصفح والغفران موصوفاً؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩].

والتقصير الواقع من الخلق يقتضي العقوبات المتنوعة، ولكن عفو الله ومغفرته تدفع هذه الموجبات والعقوبات؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥]، وهذا من كمال عفوهِ؛ فلو لا كمال عفوهِ وحلمه ما ترك على ظهر الأرض من دابة، ومثلها قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

ومن هذا الباب ما ورد في الصحيحين، من حديث أبي موسى الأشعري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَيْسَ أَحَدٌ -أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ- أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ؛ إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لِيَعْفِيهِمْ وَيَرزُقُهُمْ)).
معاشر المستمعين، وعفوه تَعَالَى نوعان:

النوع الأول: **عفوهِ العام** عن جميع المجرمين من الكفار وغيرهم؛ بدفع العقوبات المنعقدة أسبابها، والمقتضية لقطع النعم عنهم؛ فهم يؤذونه بالسب والشرك وغيرهما من أصناف المخالفات، وهو -جَلَّ وَعَلَا- يعافيه، ويرزقهم، ويُدرُّ عليهم النعم الظاهرة والباطنة، ويسقط لهم الدنيا، ويعطيهم من نعيمها ومنافعها، ومجملهم ولا يهملهم؛ لعفوه وحلمه سُبْحَانَهُ.

والنوع الثاني: **عفوهِ الخاص**، ومغفرته الخاصة، للتائبين، والمستغفرين، والداعين، والعابدين، والمصابين بالمصائب المحتسين؛ فكل من تاب إليه توبة نصوحاً -وهي الخالصة لوجه الله، العامة الشاملة التي لا يصاحبها تردد ولا إصرار- فإن الله يغفر له من أي ذنب كان من كفر وفسوق وعصيان، وكلها داخلية في قوله تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

معاشر المستمعين، وقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة في قبول الله تَعَالَى التوبة من عباده من أي ذنب كان، وكذلك الاستغفار الجرد يحصل به من مغفرة الذنوب والسيئات بحسبه، وفي الحديث القدسي قال الله تَعَالَى: ((يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي؛ غَفَرْتُ لَكَ مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي).

يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي؛ غَفَرْتُ لَكَ.

يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)).

وكذلك من عفوه سُبْحَانَهُ: أن الحسنات والأعمال الصالحة تكفر السيئات والخطايا؛ قال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، وفي الحديث: ((وَأَتْبَعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةُ تَمْحُهَا)).

وكذلك من عفوه سُبْحَانَهُ: أن المصائب التي تصيب العبد في نفسه أو ولده أو ماله تكفر سيئاته، خصوصاً إذا احتسب ثوابها، وقام بوظيفة الصبر والرضى.

ومن عظيم عفوه سُبْحَانَهُ: أن العبد يبارز ربه بالعظائم والجرائم، فيلطف به ربه، ويحل عليه عفوه؛ فيشرح صدره للتوبة، ويتقبل منه متابه؛ بل إنه سُبْحَانَهُ يفرح بتوبة عبده إذا تاب مع أنه غني حميد، لا تنفعه طاعة من أطاع، ولا تضره معصية من عصى.

روى مسلم في صحيحه، من حديث أنس بن مالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((لَلَّهِ أَشَدُّ فَرْحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِهِمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بَارِضٍ فَلَاةٌ، فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشِرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخَطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَتَتْ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ)).

معاشر المستمعين، وينبغي هنا أن يعلم أن العلم بهذه الأسماء العظيمة باب عظيم لنيل عالي المقامات، ولا سيما مع مجاهدة النفس على تحقيق مقتضياتها، من لزوم الاستغفار، وطلب العفو، ودوام التوبة، ورجاء المغفرة، والبعد عن القنوط، وتعاضم غفران الذنوب؛ فهو -سُبْحَانَهُ- عفو غفور، لا يتعاضمه ذنب أن يغفره مهما بلغ

الذنب وعظم الجرم، والعبد على خير عظيم ما دام طالباً عفوَ رَبِّهِ راجياً غفرانه.

وتأمل في هذا المقام ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يحكيه عن ربه عَزَّ وَجَلَّ أنه قال: ((أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ).

ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ؛ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ).

ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ؛ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ)) أي: ما دمت تائباً أوأها مُنِيْبًا.

وأبوابُ عفوه وغفرانه مفتوحة، ولم يزل ولا يزال عَفْوَ غُفُورًا، وقد وعد -جَلَّ وَعَلَا- بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها؛ قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

اللهم مُنِّ علينا بعفوك، وأكرمنا بغفرانك، وثُبْ علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

وهذا تنتهي هذه الحلقة، وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

